المشرق

الانجيل الشريف

بحث نظري تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي

الانجيل الشريف هو الكتاب الموحى به من الله عزَّ وجلَّ والتاريخ الصادق لسيرة ابنهِ الالهي المتجسد واعمالهِ وتعاليمه يؤمن بهِ النصراني شرقاً وغرباً ويعتبرهُ ركناً وطيداً لدينهِ القويم ودستوراً ادبياً واجتماعياً بهِ وفيهِ تمدُّن البشر وترقيهم في معارج الكمال. وينظر اليهِ غيرهُ بعين الاجلال كسفر مُنزَّل من الله. ولا يسع العلماء الجاحدين السكوت عنهُ لانهُ اساس الدين المسيحي. فهم يعكفون الليل والنهار على دراستهِ درساً علمياً بحتاً رجاء ان يجدوا الى انتهاك حرمتهِ سبيلاً. لكن قد طاش سهمهم وجاءت نتائج نقدهم الصادقة مُؤيِّدةً بابدع منوال للمعتقد المسيحي خلافاً لما كانوا يؤملون

ومن ثمَّ رأينا ان نلخِّص خلاصة المعارف العلميَّة والانتقادية في هذا الموضوع لازدياد المؤمن بصيرةً في ايمانهِ فلا يعبأ بالاعتراضات التافهة التي يلقيها قومٌ جهلة وكي ينبذ المتردِّد تردُّدهُ ظهرياً اذا كان سليم النيَّة ولا يجرأ المعاند على ان ينكر ما اعتاد نكرانهُ عن جهل وعدم تروٍّ. وتمهيداً لذلك نقدِّم للقارئ المقدِّمات الآتية

١ معنى الوحي في الاسفار المقدسة

نحن معشر النصارى اذا ما قلنا إن الاسفار المقدَّسة في العهدين العتيق والجديد هي كلام الله او اسفار الهية موحى بها من الله او منزلة من عند الله لا نريد بذلك ان الله أنزلها آيةً آيةً وحرفاً حرفاً فرقها الكاتب كما سمعها من فم الله او ملائكتهِ

وقيدها بحروفها الاصليَّة. لكننا نريد ان الله عزَّ وجلَّ اذا ما قصد بسموّ لطفهِ ان يبلِّغ البشر شيئاً من اسراره حرَّك باطناً كاتباً يختارهُ فيمثهُ على كتابة السِّفر المقصود ثم يؤيدهُ بأيدهِ الخاص ونعمتهِ الممتازة ويلهمهُ على اختيارهِ الحوادث والظروف والاعمال والاقوال التي شاء سبحانهُ وتعالى رقمها لفائدة عبادهِ وكان لهُ رقيباً وراشداً ودليلاً وعصمهُ عن الخطأ في نقلها وتسطيرها افراداً واجمالاً بحيث أنهُ لا ينقل الَّا ما ألهمهُ الله اليهِ وكما ألهمهُ فيكون هو ككاتب مطيع في حوزة الكاتب الاسمى وطوع ارادتهِ. وربَّما كانت بعض الحوادث والظروف مجهولة من الكاتب فلا يصل الى معرفتها إلا اذا اوحاها الله اليهِ مباشرةً. او تكون معلومةً منهُ او ممَّا يستطيع معرفتهُ باستطلاع الاخبار واستقاء الشهود والتنقيب والاستقراء. فلا حاجة عندئذٍ الى تنزيلها عليهِ لعدم الفائدة اذ الله يلهمهُ كتابتها ويصونهُ في ايرادها عن الضلال وهذا كافٍ لأن يُعزى الكتاب اليهِ تعالى فيُقال كتاب الله والكتاب الموحى بهِ من الله لان الله هو المؤلِّف السامي لهُ باختيار مواضيعهِ ومعانيه والهام ناقلها وتحريكهِ على كتابتها بالنوع الذي اراده وعصمتهِ عن الخطأ في غضون تسطيرها من اوَّلها الى ختامها

على ان عمل الله هذا لا يبطل صفات الكاتب الطبيعيَّة من ذكاء واهليَّة ومعارف لغوية وفصاحة بديهيَّة ولا يخلقها فيهِ اذا كان ممَّن لم يحظَ بها لان الله يختار من يشاء وليس هو بحاجة الى النحاة والفصحاء ليلقي اليهم وحيهُ وليست الدروس اللغوية والبيانيَّة ممَّا يعوَّل عليه في تلقين البشر سبل الهدى. ومن ثم لا يستلزم وحي الكتب المقدسة تنزيل الالفاظ وتنسيق التراكيب لكن يُقتصَر فيهِ عادةً على الحكم والمعاني المعقولة فينقلها هذا في قالب فصيح وعبارة صحيحة سيَّالة وذاك في تركيب قد لا يخلو لغوياً من التشويش والركاكة ولا يختلف المعنى في كلا النقلين. فشتَّان مثلاً بين فصاحة الشاعر اللزغيّ النبي اشعيا وبين سذاجة الراعي النبي عاموس وكلاهما نبيّ ينقل آيات الله. كما اننا لا ننكر ما يمتاز بهِ انشاء الطبيب الاديب لوقا من رقَّة التعبير وانسجام العبارة اليونانيَّة عن انشاء غيره من كتبة العهد الجديد الذين ألفوا مثلهُ باليونانيَّة لكنهم يفتكرون بلغة صباهم فيُلبسون الصورة اليونانيَّة ثوباً اجنبياً يستشفُّها القارئ من ورائهِ

ولا عجب في ذلك فانَّ الله اذا ما اوحى لنا كلامهُ يريد لنا جوهر الدين ولبَّ الاداب ويقصد خلاص النفوس لا مباراة النحويين او تحرير الحقائق وأعراضها وهو الناظر الى القلوب والنيَّات لا الى انسجام الكلام وتنسيقهِ

٢ البحث التاريخي والاعتقادي في اسفار الله

مرجع الابحاث في الكتاب المقدَّس عموماً وفي الانجيل الشريف خصوصاً الى وجهين اعني مضامينها الاعتقاديَّة وتاريخيَّتها فمن يعتبر الوجه الاوَّل ينظر فيها من حيث هي اسفار قانونية اوحى الله بها واسلمها للكنيسة التي أسَّسها على الارض واناط بهذه الكنيسة الحكم بحقيقة معانيها والدفاع عن حرمتها. فهي تحفظها مصونةً من كل تحريف وتثبت بآياتها حقيقة عقائد الدين وشرائع الآداب وتغذي بنيها بلباب تعاليمها. اما الوجه الثاني فانهُ يعتبر تاريخيَّة هذه الاسفار وينظر اليها من حيث هي تآليف بشرية فقط لانها وإن كانت الهية فالذين اختارهم الله لرقم آياتها هم بشر وهي موجهة الى بشر ومكتوبة في زمان ومكان وظروف لا تختلف بها عن سائر الكتب. ومن ثمَّ جاز لنا ان ننظر اليها نظرًا بشريًا ونبحث في زمن كتابتها وحقيقة نسبتها الى الانجيليين وبراءتها التاريخية من التحريف والغشّ وصدق شهادتها في حق المسيح

وهاتان الطريقتان الاعتقادية والتاريخيَّة كاختين تمتاز الواحدة عن الاخرى ولا تختلفان بل تتحدان وترتبطان ارتباطاً محكماً لوحدة مصدرهما الله اصل الايمان والعلم. فالتنزيل او الوحي بالاسفار القانونيَّة تشهد بهِ الكنيسة المعصومة عن الغلط وشهادتها حق وهي سبب كافٍ كافل لنعتقد كلام الله ونقبلهُ. اما البرهان التاريخي والاستقصاء العلمي فهما الاساس المنطقي الذي عليهِ يعتمد البناء الاعتقادي والَّا لكان اعتقادنا خضوعاً اعمى عن جهل لا عن اقناع عقلي. وحاشا الله « الذي هو نور وليس فيهِ ظلمة البتة » (١ يوحنا ١ : ٥) ان يريد الظلمات والجهل والعمى لعبادهِ وهو الآمر ان نكون دائماً مستعدّين للدفاع عن ثبات ديننا وصدقهِ « وللاحتجاج لكل من يسألنا حجج الرجاء الذي فينا » (١بطرس٣ : ١٥) ومن ثمَّ جعلنا بحثنا هذا علميًّا محضاً لا دينيًّا ضاربين صفحاً الآن عن شهادة الوحي وعن براءة

الكتاب المقدَّس من كل غش وضلال كما يعلِّمنا ايماننا ومعتصمين بالمبادئ التي لا يُنكرها العقلاء على اختلاف معتقدهم. فاذا ما اثبتنا تاريخيًّا ومنطقيًّا اصل اسفارنا وصدقها اتخذناها حجة في ما يلي من الابحاث الدينيَّة الاساسيَّة.

٣ معنى كلمة الانجيل

الانجيل لغةً كلمة يونانيَّة لا عربيَّة (من εὐ وαγγέλιον) يُراد بها البشرى والخبر المفرح سمِّي بها المخلص بشارتهُ الخلاصيَّة لانها الحقيقة المفرحة التي طالما تاق الآباء الى معرفتها واصبحت مرادفةً تارةً لتعليمهِ وتارةً لسيرتهِ. وعن المخلِّص اخذها الرسل والانجيليون فقد كررها بولس وحدهُ ٥٨ مرَّة في رسائلهِ ووردت مرارًا في الاربعة الانجيليين وفي غيرهم من كتبة العهد الجديد. وقد تاتي مضافةً الى الله كما دعا بولس ذاتهُ (روما ١: ١) : الرسول « المُفرز لانجيل الله الذي وعد بهِ من قبل على ألسنة انبيائهِ في الكتب المقدسة عن ابنهِ ...» اي البشارة بالخلاص الموعود بها في الانبياء. وتأتي مضافة الى المسيح (روما ١٥: ١٩ و ٢ كور ٢: ١٢ الخ) يراد بها البشرى التي افرحنا بها المخلص بخلاصنا او ملخَّص تعليمهِ واعمالهِ. قال الرب (متى ٢٦: ١٣) : « الحقَّ اقول لكم إنهُ حيثما كُرز بهذا الانجيل في العالم كله يُخبر بما صنعت هذه ». وقال بولس عن قوم انهم « لم يذعنوا للانجيل » (روما ١٠: ١٦) ودُعي ايضاً « انجيل الملكوت » (متى ٤: ٢٣) (وفي طبعتنا اليروتيَّة « بشارة الملكوت ») « وانجيل الخلاص » (افس ١: ١٣) « وانجيل السلام » (افس ٦: ١٥) « وانجيل مجد الله السعيد » (١ تيا ١: ١١) « وانجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله (٢ كور ٤: ٤) وقال بولس (روما ٢: ١٦) « ان الله يدين سرائر الناس بحسب انجيلي بيسوع المسيح » اي بشارتهِ بتعليم المسيح ونقلهِ لهذا التعليم. وقال (غلاطية ٢: ٧) انهُ ائتُمن على « انجيل القلف » اي البشارة للامم كما بشَّر بطرس لاهل الختان. فترى ان مرجع المعنى واحد وهو البشرى وإن تميَّز بالاضافة

ولم يلبث ان انتقل اللفظ من معنى المضمون الى معنى المتضمِّن اي من معنى البشرى والتعليم الخلاصي الى الكتاب الحاوي لتلك البشرى وذلك التعليم فترى في كتبة اواخر القرن الاوَّل واوائل الثاني كلمة انجيل تعني سفرًا او كتاباً يتضمَّن

تعليم المسيح واعماله وقد صرّح بذلك مرارًا كتاب التعليم المسيحي (Διδαχή) الذي يرتقي الى عهد الرسل اي نحو سنة ٨٠ او ٩٠ للميلاد وهكذا فهمهُ القديسون يوستينوس وايريناوس واقليمس وغيرهم من الآباء الاوّلين كما سترى

٤ الانجيل الشفاهي

بقيت التعاليم الخلاصيَّة مدَّة شفاهيَّةً يتناقلها الرسل والتلامذة ويكرزون بها انجازًا لامر السيد المسيح الذي لم يكتب شيئًا ولم يأمرهم بالكتابة لكن بالبشارة فيكونوا شهودًا لهُ في اورشليم وجميع اليهودية الى اقصى الارض (اعمال ١: ٨) وهكذا يتلمذوا الامم ويعلموهم جميع ما اوصاهم بهِ معلمهم الالهي (متى ٢٨: ٢٠) بعد ان رافقوهُ مدة ثلاث سنين وسمعوا تعليمهُ وشاهدوا عجائبهُ وشُغفوا بقداستهِ

أجل لقد تفرَّق شملهم في الساعات الاخيرة من حياة المخلص لكنهم ما لبثوا ان عادوا الى رشدهم فتراءى لهم الرب بعد موتهِ مرارًا عديدة وفي هيئات شتَّى وأكل معهم ولمسوا يديهِ وقدَّميهِ وتأكدوا حقيقة قيامتهِ فآمنوا بهِ اصدق ايمان. وبعد ان أيدهم الروح القدس بقوتهِ حسب وعد المخلص لهم استبدلوا من الخوف شجاعةً ومن التردّد جرأة فجعلوا يشهدون لما عاينوا من الخوارق وينشرون تعليم الخلاص ويكرزون بهِ في المدينة التي شهدت منذ خمسين يومًا آلامهُ وموتهُ وامام الشعب الذي طلب صلبهُ والمجمع الذي حكم عليهِ وهم يدعونهُ «البارّ والقدوس وحجر الزاوية ومبدع الحياة وخلاص العالم» ولم يخافوا اضطهادًا ولا حبسًا ولا ضربًا فاذا ما أمروا ان يسكتوا عن اسم يسوع اجابوا انهم لا يستطيعون مخالفة ارادة الله (اعمال ٤: ٢٠) واذا ما جُلدوا وعُذّبوا من اجل اسمهِ خرجوا فرحين لانهم وُجدوا اهلًا للعذاب حبًّا بهِ (اعمال ٥: ٤١). وكانوا يلتئمون برفقة امّ يسوع فيكررون ذكرًا لهُ كما امرهم العشاء السري ويتأملون في ما رأوا وسمعوا فيعيدون تعاليمهُ ويتذاكرون بقصتهِ ويُعدّون نفسهم للموت شهادةً لموته وقيامتهِ (اعمال ٢: ٤٢)

وقد حفظ لنا لوقا خطبًا القاها بطرس الرسول على مسامع الشعب ملخّصها وصفُ بشارة يسوع الناصري واعمالهِ وقوّاتهِ وعجائبهِ ثم آلامهِ وموتهِ وقيامتهِ قال

(اعمال ١٠ : ٣٤) : « وقد ظهر علانيةً لا للشعب كله ولكن لشهود اصطفاهم الله من قبلُ اي لنا نحن الذين اكلنا وشربنا معهُ بعد قيامتهِ من بين الاموات وقد اوصانا ان نكرز ونشهد بانهُ هو الذي عيّنهُ الله ديّاناً للاحياء والاموات ولهُ يشهد جميع الانبياء بان كل من يؤمن بهِ ينال مغفرة الخطايا باسمهِ » . هذا اول ملخص للبشارة الشفاهيَّة رواهُ سفر تاريخ الرسل الذي كتبهُ القديس لوقا وهو كتاب لم يُنكر جاحد حتى الآن حقيقته التاريخيَّة ونسبتهُ الى لوقا وتأليفهُ في ضواحي السنة ٦٥ للميلاد

ويمكننا ان نستخلص موضوع البشارة الشفاهية من رسائل بولس وكل يعرف انهُ كتب اخطرها شأناً بين سنة ٥٥ الى ٦٥ للميلاد اي ٢٠ او ٣٠ سنة فقط بعد موت المخلص وقيامتهِ وان نسبتها الى بولس الرسول وصدق مقالها وحقيقة تاريخها من الامور المسلَّم بها اجماعيًّا بين العلماء الاقدمين والمحدثين ولم ينكرها ولا جاحد في عصرنا (١ . ثم لما كان بولس لم يرَ المخلص في الجسد ولم يطلع على الانجيل الخطّي فلم يتعلَّم ما تعلَّمهُ الَّا بوحي من الله كما اخبر (غلاطية ١ : ١٢) وبشهادة مَن عرفهم من الرسل كبطرس ويعقوب ويوحنا فاذا ما جمعنا من رسائلهِ التلميحات الى حياة المخلص استخلصنا منها انجيلاً كاملاً لسيرة المخلص واعمالهِ وتعاليمه وصفاته . فنراه يوصي المسيحيين الاولين ان يحفظوا « وديعة الايمان معرضين عن الكلام العامي المتلبس بالبدع وعن مناقضات ما يُسمى بالعلم زورًا (١تيمو ٦ : ٢٠) وان يستمرُّوا على ما تعلَّموه وائتُمنوا عليه (٢ تيمو ٣ : ١٤) وكتب الى اهل تسالونيكي : (٢ تسا ٢ : ١٤) : « اثبتوا وتمسكوا بالتقاليد التي تعلَّمتموها إمَّا بكلامنا و إمَّا برسالتنا » . والى تيموثاوس (١تيمو ٢ : ٢٠) : « تشدَّد في النعمة وما سمعتهُ مني لدى شهود كثيرين . استودِعهُ اناساً امناء اهلاً لأن يعلِّموه الآخرين » . وترى الآباء الرسوليين الاولين يحفظون التعليم الشفاهي الذي استلموه من الرسل . قال پاپياس اسقف هيراپوليس (في فريجية) وتلميذ پوليكربوس الذي كان تلميذاً ليوحنا الرسول : « لا اظنّ ان الكتب باجمعها يُضاهي تعليمها ما تلقَّنتهُ بالتعليم الحيّ من الشيوخ » وقال القديس

(١) تريد الرسائل المبسَّطة المطوَّلة خلا الرسالة الى العبرانيين التي يتباحث العلماء في حقيقة نسبتها

ايريناوس : « كنت اصغي بكل قواي وعواطفي الى تعليمهِ (اي پوليكربوس) واطبعهُ لا على القرطاس لكن على صفحات قلبي واني لا ازال اردّدهُ في ذاكرتي وفكري (١ »

٥ الانجيل الحقيقي

لم يمضِ زمنٌ على هذه البشارة الشفاهية حتى جعل البعض يقيّدون بالكتابة فصولًا منها بالحرف الواحد كما سمعوها من الشهود العيانيين يحفظونها ذكرًا فيجعلونها موضوعاً لتأمّلاتهم . وليس لنا شاهد صريح على وجودها سوى تلميح لوقا في فاتحة انجيلهِ مع ما يؤخذ من نتائج الاقوال او بالحري الاحداس والظنون التي لا يراها الكثيرون بعيدة عن التصديق . وعلى كل فقد فُقدت هذه الوريقات فلم يبقَ لها من ذكر او اتخذها بعض الانجيليين آثارًا عرضوها على بعضها شأن المورخ المدقق واستخلصوا منها ما رأوه مطابقاً لما عرفوه مباشرةً بالعين او بالسمع فادخلوا شيئاً منها في اسفارهم ومن ثم اعتيض عنها منذ البدء بما هو اكمل واثبت نريد بذلك الاناجيل القانونية الاربعة

٦ الانجيل والاناجيل

اعتاد المسيحيون في الاجيال السابقة وفي ايامنا ان يستعملوا كلمة الانجيل تارةً مفردة كمجموعة واحدة لاربعة اسفار مضمونها واحدٌ وهو تعليم المخلص وسيرتهُ على الارض وغايتها واحدة وهي اثبات سرّي التجسد والفداء بيسوع المسيح ابن الله ومخلص العالم . وتارةً بصيغة الجمع يريدون بها البشارة الخلاصيَّة وفقاً لكلٍّ من الكتبة الانجيليين ينسبونها الى كتبتها فيقولون انجيل متى وانجيل مرقس اي الانجيل على مقتضى بشارة متى او حسب كتابة مرقس . وهذا الوصف الاخير هو المعهود في النسخ القديمة وفي اعمال الآباء الاولين فتراهم يضيفون كلمة الانجيل الى المسيح ويزيدون « حسب متى » وقد يبدلون لفظة « حسب » باللام فيقولون « انجيل سيدنا يسوع لمتى الرسول » كما في طبعتنا البيروتية

(١ راجع مجموع الآباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. XX, 297 et 485)

٧ الاناجيل الاربعة

لا تعرف كنيسة المسيح سوى اربعة اسفار للانجيل او اربعة اناجيل وتعتبرها تاريخاً صادقاً لسيرة المخلص وموردًا لاعمالهِ واقوالهِ ولا ترضى بسواها. وتؤمن انها الاسفار التي كُتبت بالهام الله على يد الشهود الاولين فصادقت عليها الكنيسة منذ الابتداء. ذلك امر لا ينكره مؤمن بالمسيح من اي طائفة ومعتقد كان ولم ينكرهُ قط اصحاب البدع الهرطوقيَّة. فالاناجيل الاربعة يؤمن بها ويجلُّها اليوناني والسرياني والقبطي والارمني والبروتستان الخ على اختلاف نزعاتهم. وغنيٌّ عن التنبيه ان قوماً من الذين ذكرناهم قد انشقُّوا عن وحدة الكنيسة الجامعة منذ القرن الرابع والخامس فحفظوا ما حفظوا خلفاً عن سلف كما كان ايام اتحادهم مع الكنيسة الرومانيَّة ولا ترى في ايامنا جاحداً متطرِّفاً يتجرأ على نكران صحَّة الاناجيل الاربعة منذ القرن الرابع حتى ولا منذ القرن الثالث مهما بالغ في نكران الامور الجلية لان في مخالفة هذه الحقيقة التاريخيَّة ضربٌ من الجنون العلمي لا يختلف عن حماقة من يرى الشمس متلألئة في رابعة النهار وينكر ظهورها وذلك لكثرة ما ورد في ذلك من الشهادات العريقة في القدم والصريحة

على اننا ندَّعي انَّ اناجيلنا اقدم من القرن الثالث وانها ترتقي الى القرن الاوَّل والى معاصري المسيح انفسهم وانَّ كتبتها رسولان متى ويوحنا عرفا المسيح وعاشا معهُ ثلاث سنين ورأيا عجائبهُ وسمعا تعاليمهُ وشاهدا قيامتهُ المجيدة. وتلميذان مرقس ولوقا اخذا عن الشهود الاوَّلين واثبت معلماهما بطرس وبولس صحة روايتهما وبراءة نقلهما من كل ضلال. وحقق جمهور النصارى من رسل وتلاميذ وشهود صدق هذه الاسفار بقبولها ككلام الله وقراءتها الجمهورية في المجتمعات والمعابد حتى انتشرت في كل الكنائس شرقاً وغرباً ونُقلت الى لغات كل الشعوب المتمدنة

وقد سعى في السنين الاخيرة طائفة من زعماء العلماء الاباحيّين وكبار اهل النقد الملحدين ان يبطلوا معتقدنا فوجَّهوا اهتمامهم الى جمع النسخ المخطوطة ودراسة النصوص القديمة وتفلية الشهادات جملةً جملةً وحرفاً حرفاً رجاء ان يدكُّوا هذا الصرح الانجيلي المرصوص فعاد سهمهم خائباً واقرّوا لنا الان بصحة نسبة الاناجيل الاربعة الى كتبة معاصرين للمسيح كما سترى من شهاداتهم

٨ تقلب اراء العلماء

على اننا لا نكتفي بهذا الاقرار لان اقوال العلم او ما يسمّى علماً التي حقُّها ان تكون القول الفصل المثبت بالادلّة التي لا يردّ عليها نراها في المواضيع الدينيّة تتقلّب ظهرًا لبطن مع الايام فيبدد هذا ما كفر به ذاك ويكفر بما عبده فها انّ آراء المعطّلين قد تغيّرت في شأن الاناجيل لا مرّة او مرّتين منذ مائة وخمسين سنة لكن مرارًا متوالية وذلك باسم العلم وبين المسنّين أئمة. هزأ ڤولتير فاعتبر السخريّة برهاناً فجاء ايخبورون (Eichbborn) وپولوس (Paulus) الالمانيان وعجبا من طياشة ڤولتير وجماعته وردّا عليه لكنهما طلبا طريقة اخرى لتزييف الاناجيل فبحثا بجدّ وارتأيا ان حلّ المشكل الانجيلي ونكران الدين النصراني يتأتّى بنكران كل اعجوبة في الانجيل وشرح ما يُحتسب عجيباً بالاختراعات الطبيعيّة. وما عتم ان قام ستروس (Strauss) وهزأ من « تأويلاتهما الباردة » — هي كلمتهُ — واخترع التأويل التخيُّلي وذلك ان اخبار الانجيل بل شخص المسيح بالذات ليس الّا وهماً وتخيُّلاً ولذا لا بدّ من ان يكون قد عُرف الخبر وكُتب الانجيل مائتي سنة على الاقل بعد تاريخ المسيح لتُعطى المخيلة مجالاً لاختلاق هذه الاخبار. وقام بور (Baur) وحلقة علماء توبنغ (Tubingue) فانكروا كل ما سبق وقسموا اخبار النصارى الى حزبين الحزب البطرسي والحزب البولسي ونظموا التاريخ كما شاءوا ونسبوا قسماً منهُ لبولس الرسول وقسماً لبطرس اثباتاً لمدّعاهم. فضحك منهم الملحدون الافرنسيون وغيرهم من المتأخرين واختاروا في المذاهب السابقة ما طاب لهم اختياره الّا انّ العصريين يضحكون اليوم من جهل رنان وذويه فيقولون ان رنان ليس مؤرّخاً ولم يكتب تاريخاً لكنهُ قصصي روائي (romancier) يكتب رواية خياليّة بناها على الحدس والتخيُّل. ولا نظن ان العلماء الملحدين قد عقموا فانهم يلدون كل سنة اولاداً عديدين يُودَعون اللحد قبل ان يطول اجلهم في المهد فلا يبلغون اشدّهم وذلك لانّهم يجرون لا حسب مبادئ العلم لكن انجازًا لقصد وحيد وهو نكران الدين المسيحي

ولما كان الجاحدون في بلادنا يعيشون من فضلات الغرب ومما كسدت سوقهُ من مذاهبهم فهي تأتينا مزدانة برياش الجدّة واصبح الكثيرون في حاجة الى توطيد التعليم الديني على اساس لا يتزعزع كان من الواجب ان نثبت حقيقة الانجيل التاريخيّة

٩ شروط الشهادة التاريخيَّة

ليس كل شاهد يستحق الاعتبار ويوجب الاقناع فربَّما كان خادعاً تبع الضلال وشهد شهادة زور او مخدوعاً شهد على ما لم يرَ كأنهُ رآه وعلى ما لم يسمع بهِ كأنهُ سمعهُ او ناقلاً لاخبار سبقت زمانهُ باجيال فخفيت عليهِ الحقائق واجرى مخيِّلتهُ في اختراع القصص شأن الروائي او الشاعر . ولعلَّ صكَّ شهادتهِ قد اعتراه التحريف والزيادة والنقصان فلا يُعرَف ما هو لهُ ممَّا ادخلهُ عليهِ الناقلون والمصحِّفون عمدًا او جهلًا فشوَّهوا الشهادة وافقدوها قدرها . كل هـذه الشروط يُقضى على العالم المنقب عن كنه الامور ان يطالب بها ليبدي رأيهُ عن معرفة وتبصُّر ونحن الآن نجيـل فيها النظر شأن العلماء الاثبات فنبحث :

اوَّلًا هل الانجيل الشريف صحيح النسبة الى من يُعزى اليهم من الشهود لانَّ الكتاب المزوَّر لا يُصدَّق ولا يُعبأ بهِ

ثانياً هل اعترى نصوصهُ تغيُّر او تحريف فأفقدها قدرها واصبحت كأن لم تكن

ثالثاً هـل المؤلفون جديرون بالاعتبار لا ضالُّون ولا مُضلِّون يمكن بـل يجب قبول شهادتهم

هذه مباحث ثلاثة اذا أُثبتت بالبرهان جعلت شهادة الانجيـل مرضيَّة كاملة لا ينكرها الَّا الجاهل او الكافر المتعمِّد والمكابر الذي يزعم بانَّ الرضى بها من الامور الاختياريَّة التي لا موجب لقبولها . وسنفرد فصلًا لكلٍّ من هذه الابحاث الثلاثة

الفصل الاوَّل

في نسبة الاناجيل الى اصحابها

نريد في هـذا الباب ان نبيِّن ان الاناجيل الاربعة التي يتداولها المسيحيون ينتمي عهدها الى الرسل الاطهار وانَّهـا وحدها الاناجيل الصحيحة الحقيقيَّة التي تُنسب بكلِّ حقّ الى اصحابها متى ومرقس ولوقا ويوحنا

ذلك امر يؤيِّده البرهان التاريخيّ لانَّنا اذا ما نقبنا في الآثار القديمة وجدنا المؤرخين الصادقين العارفين لا من المتأخرين فقط لكن من المعاصرين او بالقريبين الى ذلك العهد يشهدون لهذه الاناجيل ويعتبرونها ويجلُّونها ويذكرون اسماء مؤلفيها .

ولانَّ العلماء اجمعين يسلِّمون بانَّ الاناجيل الاربعة التي نعرفها هي التي كان يؤمن بها المسيحيون شرقاً وغرباً في اواسط القرن الثالث لم تعترها زيادة ولا نقصان ولا تحريف منذ ذاك العهد الى ايامنا وجب علينا ان نذكر ما لدينا من البراهين والشهادات القديمة التي سبقت هذا التاريخ متتبعين الكنائس شرقاً وغرباً

١ ﴿ شهادة الكنيسة المصرية ﴾ في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث اشرق في سماء كنيسة الاسكندرية كوكبان نيّران امتازا بضياء معارفهما الادبيَّة والدينيَّة وهما اقليمس الاسكندري (١٥٠ — ٢١٧) وتلميذهُ اوريجانوس (١٨٥ — ٢٥٤). ولد اقليمس الاستاذ من ابوين وثنيين ولمَّا ترعرع ودرس العلوم اعتنق الدين النصراني عن اعتقاد وطاف البلاد يسمع من الشيوخ الاولين ويأخذ عنهم التعليم الصادق ثم جعل منذ سنة ١٨٠ يلقي الدروس الادبية والدينيَّة في مدرسة الاسكندرية ويكتب المقالات البديعة في حقيقة الدين النصراني منها كتبهُ « الوضعيات » و« المنتخبات » و « المعلِّم » وهو يتنقل فيها مئات من النصوص عن الاناجيل الاربعة المسيحية. واذ عرَّف كاسيانوس الهرطوقي نصاً من الانجيل اجابهُ اقليمس بما ترجمتهُ: « ان هذا النصّ مزوَّر لاننا لا نجده في اناجيل المسيح الاربعة ». ووصف الاناجيل ذاكرًا اسم كتبتها (١ فقال مثلاً عن انجيل مرقس:

« هذا ما بلغني من الاقدمين عن انجيل المسيح حسب مرقس: « بينما كان بطرس يبشر جهارًا بالكلمة في مدينة رومية بالهام الروح وينشر الانجيل طلب كثير من السامعين الى مرقس الذي تبع بطرس مدَّةً طويلة وحفظ ما سمعهُ ان يكتب لهم ذلك ففعل واعطاهم سِفرهُ ولما علم بطرس بالامر لم ينشطهُ ولم يمنعهُ »

وقال عن يوحنا: « ان يوحنا كتب بعد المبشرين الاخرين لانهُ لحظ ان الاناجيل السابقة لم تسطر عن ترجمة السيد المسيح الَّا الامور الجسدية. فتلبيةً لدعوة حاشيتهِ وبعد وحي الروح القدس عزم على كتابة انجيل روحي ». يريد بذلك ان الانجيليين الثلاثة الذين سبقوهُ عرضوا خاصة اعمال الرب العلنيَّة اما يوحنا فاماط الحجاب ليري

---

١) راجع مجموع آباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. VIII, 890, 1194 et XX, 1151)

بنوع اكمل اللاهوت الذي كان يحيي تلك الاعمال والاقوال ويرفع شأنها ويعظم قدرها »

اما اوريجانوس فهو النابغة الاسكندري الشهير الذي طبّق ذكرهُ الآفاق. خلف معلّمهُ اقليمس فدرّس سنين طويلة في الاسكندرية وفي قيصرية فلسطين ولم ينكر عليهِ احد سموّ المعارف والمدارك. فقد شهد مراراً على الاناجيل وعددها وكاتبيها الاربعة قال: « قد تعلّمنا من الاقدمين ان الاناجيل اربعة وهي وحدها تُقبَل بلا نزاع في كل انحاء كنيسة الله الممتدّة تحت السماء. فالاول كتبهُ متى الذي كان اولاً عشّاراً ثم صار رسولاً ليسوع المسيح وقد كتبهُ باللغة العبرانيّة لفائدة اليهود الداخلين في الايمان. وقد تعلّمنا انّ الانجيل الثاني كتبهُ مرقس كما سمعهُ من بطرس. اما الثالث فهو انجيل لوقا الذي كُتب لفائدة الامم واوصى بهِ بولس. والاخير هو انجيل يوحنا ». ولما كانت يد النسّاخ قد ادخلت بعض الاختلاف في نقل الاناجيل سعى اوريجانوس في جمع اقدم المخطوطات وقابلها مع بعضها وعيّن ممتازات كل نسخة عن اختها فلم يجد فيها اختلافاً مذكوراً وشرح الاناجيل شرحاً بديعاً ودافع عن حقيقتها في وجه الفيلسوف الوثني قلسوس (Celse) ونقل في غضون شرحهِ ودفاعهِ آياتٍ لا تحصى حتى انهُ من المستطاع ان يُجتمع الانجيل برمّتهِ من مولّفات اوريجانوس

٢ ﴿ الكنيسة الافريقيّة ﴾ في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث اشتهرت الكنيسة الافريقيّة (شمال افريقية) بعالمين اثاراهما بعلومهما كما اثار اقليمس واوريجانوس كنيسة الاسكندرية وهما القديس قبريانوس الشهيد اسقف قرطجنة (١٨٠ — ٢٥٨) وطرطليانوس العلّامة (١٦٠ — ٢٤٠). وقد ترك لنا قبريانوس مؤلّفات جليلة اخصّها كتاب استشهد فيهِ بآيات الاسفار الالهية تجد فيهِ نصوصاً كثيرة منقولة عن الاناجيل المقدسة التي كان يؤمن بها شعبهُ ويدافع عنها حتى الاستشهاد فيوثر الموت على ان يسلّم كتب الله الطاهرة الى ايدي الوثنيين

اما طرطليانوس فيعدّهُ قسان دي لارنس الكاتب القديم في مقدمة العلماء اللاتينيين فقال: « ان طرطليانوس بيننا كاوريجانوس بين اليونان نعتبرهُ امير الكتبة »

---

١) مين: اعمال الآباء اليونان (Migne. PP. GG. XIII, 829 et XX , 581 etc).

كان طرطليانوس وثنيًّا درس وهو شاب العلوم الرومانية وبرَّز في علم الفقه وقادتهُ مباحثهُ الى النظر في المسائل الدينيَّة ورأى من شجاعة الشهداء وقداستهم ما اجتذبهُ الى الدين النصراني فاعتنقهُ مومنًا ودافع بالكتابة عنهُ احسن دفاع وإنْ ضلَّ في اواخر حياتهِ لجهلهِ سموّ رحمة المسيح وحنوّ كنيسته على الخطأة التائبين والتجأ الى حزب القساة المبتدعين . لكن شهادتهُ لا تنكر قيمتها لقدمهِ وكثرة معارفهِ فانهُ استشهد بالاناجيل نحوًا من الف مرَّة حتى ان احد العلماء الالمانيين المعطّلين روس (Reuss) في ايامنا الف كتاباً سمّاه « العهد الجديد في اعمال طرطليانوس » لكثرة ما نقل عنها من الآيات والقصص وهو يشهد لمؤلفي الاناجيل ويذكر اسماءهم ويبين حقيقة هذه النسبة استنادًا على التعليم المتواصل الى ايامهِ في الكنائس الرسوليَّة . قال في كتابهِ ضد مرقيون الهرطوقي : « ان الايمان يثبتهُ لنا في اسفارهم اثنان من الرسل وهما متى ويوحنا واثنان من الرسوليين وهما لوقا ومرقس » . وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور : « ان السلطة التي تثبت حقيقة لوقا (الذي كان يقبلهُ مرقيون) هي ذاتها تثبت حقيقة اسفار يوحنا ومتى ومرقس . وان عُزي السفر الاخير الى بطرس لان مرقس كان ترجمانًا لهُ كما يُعزى انجيل لوقا الى بولس » . وقال : « انا ادّعي ان انجيلي هو الحقيقي ومرقيون يدعي مدعاه في انجيله . انا اعتبر انجيلهُ مزورًا وهو يعزو الى التزوير . فمن يحكم بيننا الاَّ شهادة الزمان والتاريخ . . . فذاك الحقيقي ما هو الاكثر قدماً . وذاك الاكثر قدماً الذي كان في بدء البشارة . وذاك كان في بدء البشارة الذي كتبهُ الرسل انفسهم فتعتبرهُ الكنائس الرسوليَّة سفرًا مقدساً (١ وتجلّهُ لا الكنائس الرسوليَّة فقط لكن كنائس العالم باسره المتحدة بشركة سرّ الايمان . اما سفر مرقيون فاماً مجهول واماً محروم لانهُ هو الفهُ او احد من ذويه . النحل تصنع اقراص العسل والزنابير تتقلدها » (٢ .

٣ ﴿ الكنيسة الاسيويَّة والغاليَّة ﴾ قام فيها شاهد ممتاز في الاناجيل المقدَّسة نزيد بهِ القديس ايريناوس العالم الشهير والشهيد الجليل . ولد في الشرق في

---

١) وهذا كلامهُ بالحرف : (Quod apud ecclesias Apostolorum fuerit sacrosanctum)

٢) راجع مين اعمال آباء اللاتين (Migne, PP. LL. II, 363, 365 etc)

القرن الثاني للمسيح بين السنتين ١١٥ الى ١٣٥ للميلاد وتتلمذ للقديس پوليكربوس (المستشهد سنة ١٥٥) خليفة الرسول يوحنّا الحبيب على كرسيّ افسس وغيره من المعلمين. ثم انتقل الى غاليا وصار اسقفاً على ليون حاضرة بلادها وقُتل شهيداً سنة ٢٠٢ بعد أن ألّف التآليف الجليلة وردّ على هراطقة زمانه واثبت في كتبه معتقد كنيسة المسيح الحقيقيّة

فالقديس ايريناوس هذا قد ألّف في ضواحي سنة ١٧٩ او ١٨٠ كتاباً جليلاً في خمسة اقسام دحض فيه اكاذيب الهراطقة وشهد فيه اجمل شهادة على حقيقة اسفار الاناجيل الاربعة واستند اليها مراراً عديدة ونقل عنها نصوصاً لا تُحصى في تزييف اقوال الهراطقة ونفي الاسفار المزوّرة التي نسبوها الى الرسل وبيّن لهم في اوّل القسم الثالث انّ الاناجيل الموحى بها اربعة ليس الّا وانّ هذا العدد قد جمعهُ الروح القدس فلا يمكن ان يزاد عليه وانّ الانجيليين قد كتبوا تلك الاسفار (المقدّسة) وسلّموها الينا لتكون لساس معتقدنا وعموده في المستقبل... هكذا نشر متّى الانجيل مكتوباً للعبرانيين وفي لغتهم بينما كان بطرس وبولس يبشّران في رومية ويؤسّسان الكنيسة. وبعد خروجها (ἔξοδον من رومية او من الحياة؟) مرقس تلميذ بطرس وترجمانهُ بلّغنا في انجيله الامور التي كان يبشر بطرس بها. وكتب لوقا رفيق بولس في سفر الانجيل ما كان يبشّر به معلّمهُ. وآخرهم يوحنا تلميذ الرب الذي استحق ان يستند على صدر الرب فانهُ نشر هو ايضاً انجيلهُ اذ كان في افسس من اعمال اسية»

ثم قال وهو كلام يفحم كل معاند: «ان صحة الاناجيل الاربعة والاعتقاد بها متين بهذا المقدار حتى ان الهراطقة انفسهم يشهدون لها وكل منهم يجهد ان يثبت رأيهُ مستنداً الى نصّها ولذا فشهادة هؤلاء المعارضين لنا في العقائد واستعمالهم لاناجيلنا تثبت وتوطد معتقدنا في صدقها. والاناجيل المقدسة اربعة فقط لا اكثر ولا اقلّ فلما كانت اقطار العالم الذي نحن فيه اربعة فقط والرياح الرئيسيّة اربع ايضاً وكانت الكنيسة المنتشرة في كل الارض اساسها وعمودها الانجيل وروح الحياة وجب ان تستند على اربع دعائم ومن هذه الدعائم تتدفق ينابيع البرارة والحياة»

ولا يسعنا الّا ان ننقل فقرة من رسالة كتبها ايريناوس وهو شيخ الى فلورينوس

الاسقف احد اترابه في شبابه ورفيقهِ في حلقة پوليكربوس قال: « كنتُ شاباً لمَّا رأيتك بالقرب من پوليكربوس فان تذكرات تلك الايام احفظها وهي لا تزال مطبوعة في اكثر من الامور الحاضرة. فانهُ يمكنني ان اذكر المكان الذي كان يجلس فيهِ الطوباوي پوليكربوس اذ كان يتكلَّم. يمكنني ان اصف سيرتهُ وسَيرهُ وصورتهُ. وكاني الآن اسمع كلامهُ والخطب التي كان يلقيها على الشعب وقصص علاقاتهِ مع يوحنا وغيره من الذين رأوا الرب وما سمعه منهم عن عجائب المسيح وتعليمه. وكل ما كان يلقيهِ علينا پوليكربوس كان مطابقاً للاسفار المقدسة لانهُ اخذه عن الشهود الذين شاهدوا كلمة الحياة (Λόγος) (اي المسيح) وقد انعم الله عليَّ فاصغيتُ الى كل هذه الامور وكتبتها لا على الورق لكن على صفحات قلبي واني اشكر الله لاني احفظها دائماً ككنز ولا انساها » (١

وهذه الشهادات البديعة تكفي ولو شئنا لنقلنا من مولفات ايريناوس سبع عشرة شهادة تشبهها. وفي كل صفحة من صفحاتهِ يستشهد بتعليم الاولين. فانهُ زار الكنائس الرسوليَّة ويعرف قائمة خلفاء الرسل واحداً بعد الاخر بلا انقطاع ولا يرضى الَّا بما علَّمهُ الرسل في كل اقطار العالم. وتَرداد شهادات ايريناوس قيمةً واعتباراً اذا عرفنا انهُ كان سامي القداسة ثاقب الذهن دقيق النقد التاريخي والفلسفي كما شهد لهُ العلماء المحدثون مثل لايتفوت (Lightfoot) في كتاب محاضراته (Essays) (p. 268 وغيره بلا مخالف. اما الاقدمون والمعاصرون فكانوا يجلُّون ايريناوس ايَّ اجلال. فان الشهداء القديسين في ليون وڤيناً (من اعمال فرنسة) في رسالتهم البديعة التي ارسلوها الى الحبر الاعظم الوثيريوس (نحو السنة ١٧٧) يسمونهُ « رجلاً ملتهباً غيرة عجيبة على عهد المسيح ». ووصفهُ طرطليانوس معاصره بقولهِ عنهُ انهُ « أعرَف واغزر شاهد للتعليم » وان مولفاتهِ « مملوَّة فوائد ». وابيفانيوس سمَّاهُ « قديساً عجيباً وخليفة للرسل وفارساً دينياً مملوءاً من مواهب الروح القدس وغنياً بالاعتقاد الذي لا يشوبهُ غشّ وبالعلم المختار ». « واغسطينوس سمَّاهُ « المدافع عن الايمان الكاثوليكي والمعادل للرسوليين » وتيودوريطس دعاه « نور كنائس الغرب المقتدي بتعليم پوليكربوس » الخ (البقيَّة لعدد آخر).

(١ Migne VII: 844, 884 et XX 450 etc